الملة والنحلة

في

اليهودية • المسيحية • الإسلام

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

دار القلم للنشر والتوزيع
شارع السور - عمارة السور - الطابق الأول
هاتف: ٢٤٥٧٤٠٧ - ٢٤٥٨٤٧٨ - برقيا توزيعكو
ص.ب ٢٠١٤٦ الصفاة 13062 الكويت

الملة والنحلة

في

اليهودية • المسيحية • الإسلام

الدكتور حمدي عبد العال
كلية الشريعة - جامعة الكويت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة

الناس تسيرهم معتقداتهم أكثر مما تسيرهم أفكارهم . من هنا فستظل الأديان بيدها زمام حركة التاريخ الإنسانى والصراع البشرى ، وتبقى صناعة الكلام والحوار والجدل فى الأديان مادام للإنسان وجود على الأرض .

وعلى العلماء فى هذه الصناعة الذين يتميزون بفكر ينشد الحق والحقيقة وإرادة تنشد الخير والسعادة للإنسان ، بيان الحقيقة من الوهم والصواب من الخطأ فيما يدين به البشر من معتقدات وآراء . فنجاة الإنسان وفوزه منوط بتجردهم من الهوى وإخلاص نياتهم فى هداية الإنسان إلى الحق والخير .

وأدعو الله مخلصاً أن يكون باعثى وقصدى فيما كتبت ، الإسهام فى تحقيق هذه الغاية التى هى غاية كل دين صحيح .

المؤلف

تمهيـــد

نود قبل عرض موضوع دراستنا تفصيلاً ، أن نذكر بعض الأمور التى نجد أنها تعين على توضيح موضوع البحث :

أولاً : معنى الملل والنحل

الملل : جمع ملة : والمِلَة بكسر الميم معناها الدين .

والنحل : جمع نحلة ، والنحلة بكسر النون معناها الدعوى ، تقول انتحل فلان الشئ بمعنى إدعاه لنفسه .

ثانياً : موضوع البحث ومنهجه

وموضوع بحثنا ، خاص بالأديان السماوية الكبرى التى أطلق عليها اصطلاحاً للتمييز بينها : اليهودية ، والمسيحية والإسلام بقصد التميز فيها بين كلمة الله كما عبر عنها الوحى ، وبين كلمة الإنسان التى ادعى أنها من الوحى أو تعبير عن الوحى ، أى بين الملة كدين من الله والنحلة كدعوى من البشر .

ومنهجنا فى دراستها سيكون على أساس تاريخى مقارن ، لأنه لما كان موقف أى جماعة من عقيدة اعتقدتها كما يقول الدكتور البهى : « يتمثل فى مظهرين :

مظهر الإيمان القوى ،

ثم مظهر التفهم والتعقل .

وكلما خفت حرارة الإيمان فى القلوب .. كلما برزت ناحية الاختلاف فى فهمها »[1] .

---

(١) الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى ، ص ٥٤ ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ .

فإن المظهر الأول بالنسبة لنا ، يمثل الأديان الثلاثة فى صورتها التى نزل بها الوحى .

أما المظهر الثانى ، فيمثل عندنا الآراء والمذاهب التى انتحلها أتباع كل دين من الأديان الثلاثة معتمدين فيما ذهبوا إليه على التأويل العقلى والفهم الشخصى لنصوصهم الدينية .

ونحن بصدد الإسلام . نستطيع فى سهولة ويسر تمييز الملة أو الدين فيه عن النحلة أو الدعوى ، حيث إن نصوصه الدينية وأهمها القرآن شاهد صدق على الأمرين معاً ، أعنى الإسلام كما نزل به الوحى ، والإسلام كما فهمه أتباعه ، مما يمكننا من كشف أو نقد الدعاوى التى إدعاها المؤمنون به ومقدار بعدها أو قربها من الوحى .

أما بالنسبة لليهودية والمسيحية ! فالأمر جد مختلف ، حيث إنه من الصعب إن لم يكن من المستحيل ، تمييز الدين فيها من النحلة ، لما ثبت علمياً من تحريف كتبها المقدسة فلا يمكن فى مجال التوثيق العلمى الدقيق الإعتماد على تلك الكتب فى تمييز الدين كما نزل به الوحى عن الدعاوى التى أضافها البشر فى اليهودية أو المسيحية بوضعهما الراهن .

ومن هنا اعتمدنا على القرآن كلما أمكن ذلك كمعيار نقد وتمييز بالنسبة لليهودية والمسيحية ، وموقفنا هذا ليس صادراً عن تعصب ، وإنما عن باعث علمى بحت ، حيث إن القرآن قد تعرض للنقد العلمى متناً وسنداً من أشد المتعصبين ضده ، كما لم يستطع أحد النيل من صدقه وسلامته فى كل القضايا التى طرحها ومنها ما يتصل بالأديان الأخرى . فنحن ، من منطلق علمى بحت ، فى حاجة إلى الاعتماد عليه ، ليس فى مجال نقد وثائق تلك الأديان واستبيان ما حدث فيها من ثغرات فحسب ، وإنما لإثبات وجودها التاريخى نفسه ، وإلا لأصبح من السهل علمياً التشكيك فى نسبها السماوى أصلاً وسقوط رداء القداسة عن وثائقها ورموزها . فالأناجيل مثلاً من الناحية العلمية ، لا تستطيع وحدها اثبات وجود عيسى عليه السلام ، بل انها لتكتسب شرعيتها والاعتراف بها من اثبات وجود عيسى عليه السلام من طرق وأدلة أخرى ، فتصفح الأناجيل كما يقول شارل جنبير : « يكفى لاقناعنا بأن مؤلفيها قد توصلوا إلى تركيبات واضحة التعارض لنفس الأحداث والأحاديث ، مما يحتم القول بأنهم لم يلتمسوا الحقيقة الواقعية ولم يستلهموا تاريخاً ثابتاً يفرض تسلسل حوادثه عليهم ، بل على العكس

من ذلك اتبع كل هواه وخطته الخاصة فى تنسيق وترتيب مؤلفه .. وهكذا لم نعد نستطيع أن نميز فى وضوح الجوانب التاريخية لشخصية عيسى ولم نعد نملك المراجع اللازمة لتحديد أحداث حياته فى دقة »[٢] والأمر فى ذلك لا يختلف بالنسبة لليهودية ، كلاهما اذن محتاج إلى القرآن الذى يمنحهما الإعتراف بنسبهما ، أما الاعتماد على وثائقهما الذاتية وحدها فإنه لا يكون إلا مجازفة بمصيرهما وشرعية نسبهما .

ثالثاً : منشأ التسمية

ونعنى بذلك الإجابة على هذا السؤال : هل تسمية الأديان الثلاثة أصلها بشرى أو إلهى ؟

لنعلم أولاً ، أن الأديان الصحيحة المنزلة على الرسل من الله تعالى لهداية البشر إلى الصراط المستقيم ، واحدة فى أصولها ، واحدة فى مصدرها وهو الله سبحانه وتعالى ، وهى كلها تعنى الخضوع والانقياد التام قلبياً وعقلياً وجسمانياً لكل ما أمر به الله عن طريق رسله ، هذا الموقف عبر عنه الوحى أو سماه الله تسمية واحدة فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٣]

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٤]

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٥]

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾[٦]

﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٧]

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٨]

---

(٢) المسيحية نشأتها وتطورها ، ص ٢٨ – ٢٩ ، ترجمة عبدالحليم محمود ، المكتبة العصرية ، بيروت .

(٣) آل عمران : ١٩ . (٥) المائدة : ٣ . (٧) غافر : ٦٦ .

(٤) آل عمران : ٨٥ . (٦) الأنعام : ١٢٥ . (٨) فصلت : ٣٣ .

الوحى إذن هو الذى سمى الدين الصحيح بالإسلام ، وهو الدين الذى كلف به كل الأنبياء وأمروا بتبليغه إلى الناس .

فعن إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام يقول القرآن :

﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾(٩)

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾(١٠)

والإسلام هو الدين الذى أوصى به إبراهيم بنيه :

فمع ابنه إسماعيل عليه السلام يدعو :

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾(١١)

كذلك :

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١٢)

ثم هو وصية يعقوب لبنيه من بعده :

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ

(٩) آل عمران : ٦٧ .
(١٠) البقرة : ١٣٠ – ١٣١ .
(١١) البقرة : ١٢ .
(١٢) البقرة : ١٣٢ .

ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[13]

ثم هو دين موسى الذى كلف بتبليغه إلى بنى إسرائيل :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[14]

وفرعون موسى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[15]

ولم يقل أنا من اليهود أو من الإسرائيليين ، لعلمه أن الدين الذى يدعو إليه موسى عليه السلام إسمه الإسلام .

والإسلام هو الدين الذى دعا إليه سليمان عليه السلام أهل سبأ حين قال لهم :

﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[16]

وهو دين عيسى عليه السلام الذى :

﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[17]

---

(١٣) البقرة : ١٣٣ .
(١٤) يونس : ٨٤ .
(١٥) يونس : ٩٠ .
(١٦) النمل : ٣١ .
(١٧) آل عمران : ٥٢ .

وأخيراً هو الرسالة الشاملة التى كلف بها محمد ﷺ وأمر بتبليغها إلى الناس كافة :

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(١٨)

من كل هذا يتبين أن تسمية الدين الصحيح بالإسلام تسمية إلهية وليست بشرية .

وأن الإسلام هو الدين الذى كلف به الرسل جميعاً منذ آدم وحتى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وإن كان يختلف من حيث العموم والخصوص ، فقد كان دعوة خاصة بزمان ومكان وشعب معين عند الرسل السابقين ، وإنتهى إلى دعوة عامة شاملة للناس جميعاً على يد محمد صلى الله عليه خاتم الأنبياء والرسل .

أما اليهودية أو المسيحية ، فهى تسمية من وضع البشر ، منشأها النسب الشخصى .

ولهذا نجد القرآن الكريم تارة يذكرهما فى مجال المدح عند إيمانهم ، وتارة فى مجال الذم عند كفرهم ، أى أنه وصفهما بالكفر والإيمان .

ففى معرض المدح مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾(١٩)

---

(١٨) آل عمران : ٨٤ - ٨٥ .

(١٩) البقرة : ٦٢ .

أما فى معرض الذم ففى مثل قوله تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۚ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢٠]

أما الإسلام فيذكره فى مجال المدح فقط لأن المقابل له هو الكفر أو الشرك .

نخرج من هذا إلى أن اليهودية والمسيحية التى تسمى أيضاً النصرانية ، تسمية وضعية تطلق على أتباع موسى وعيسى عليهما السلام ، وهى لا تعني بالضرورة التزامهم بالدين الصحيح الذى نزل على موسى أو عيسى والذى سماه الله بالإسلام .

---

(٢٠) التوبة : ٣٠ - ٣١ .

الفصل الأول
اليهـــودية

نشأتها وتطورها

اليهود . هم أتباع موسى عليه السلام ، وكتابهم التوراة ، ويطلق عليهم بالإضافة إلى ذلك بنى إسرائيل والعبرانيين ، وكلها تسميات وضعية كما قلنا اختلف فى منشأها :

« **اليهودية** » :

وقد دارت حول منشأها اجتهادات كثيرة أهمها :

١ – الشهرستانى الذى يقول بالاشتقاق اللغوى يقول : « هاد الرجل أى رجع وتاب ، وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام . [إنا هدنا إليك] أى رجعنا وتضرعنا »[١] .

والواقع أن هذه التسمية من هذا الاشتقاق تنطبق إلى حد كبير على سيرة اليهود ، فالمرء حين يتصفح أسفارهم الدينية يندهش من سرعة تمردهم وعصيانهم لأنبيائهم إلى حد قتلهم ، ثم توبتهم ، ثم تمردهم ، ثم توبتهم ، ويكفى أن تذكر التوراة أنهم ارتدوا ثمانية مرات منذ خروجهم من مصر بقيادة موسى عليه السلام وحتى دخولهم فلسطين على يد شاول ، وهى مدة لا تزيد عن مائة وخمسين عاماً ، وكان كثير من تلك المرات التى ارتدوا فيها فى حياة موسى عليه السلام نفسه .

وهكذا سلسلة متصلة من العصيان والتوبة ، وهذا الأمر يعتبر ظاهرة نفسية تحكم سلوك اليهود على امتداد تاريخهم الدينى كله ، والقرآن الكريم متفق مع كتبهم المقدسة فى إبراز هذه الظاهرة .

---

(١) الملل والنحل : ١٩٢/١ – تخريج محمد فتح الله بدران ط ٢ مكتبة الأنجلو العربية القاهرة ١٩٥٦ .